دور السيدة الزهراء عليها السلام
في الحراك السياسي
بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

الشيخ
علي عبد المحسن البغدادي
أستاذ الفكر السياسي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية

دور السيدة الزهراء عليها السلام في الحراك السياسي بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

الشيخ
علي عبد المحسن البغدادي
أستاذ الفكر السياسي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية

المقدمة :ـ

لا يمكن لشخص مثلي فاقد لشروط العلم الإجمالي والتفصيلي الحضوري، أن يكتب عن شخصية جمعت خصال العلم والعصمة، إلا وهي السيدة الزهراء عليها السلام، إذ لا يمكن أن نستوعب عظمة تلك السيدة، ولا يمكن أن ندرك الدور العظيم الذي اضطلعت به في حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيما بعد مع بعلها أمير المؤمنين عليه السلام، إذ تعددت مهامها وتشعبت بين إدارة البيت النبوي، وصولاً إلى المساهمة في إدارة الدولة الإسلامية، مع أبيها وبعلها أثناء حياة النبي صلى الله عليه وآله، وبعده في مواقف عدّة سوف نشير إليها لاحقا، ونحن نشير هنا إلى هذه المشاركة، كونهم - أي أهل البيت عليهم السلام - المؤسسين لكل شيء بعد الجاهلية، والمؤسس دائما يقع عليه العبء الأكبر، كما هو شأن أي تأسيس بغض النظر عن ماهيته.

كان الهدف في البداية أن أكتب عن موضوع يتعلق بالأخلاق، ولكني وجدت أن الكثير من القضايا المهمة في حياة السيدة الزهراء عليها السلام، لم تستوعبها البحوث والدراسات بصورة مرضية، وربما قامت الاعتباطية بتأسيس منهج معين يصب في مصلحتها، من خلال الدفع باتجاه تحديد توجهات معينة للكتاب والباحثين، ونلاحظ أن الكتاب والباحثين أخذوا بهذا المنهج دون التفات، أو ربما التفتوا ولكنهم لم يهتموا، لتغالبهم وتواطئهم على هذا

المنهج، فنلاحظ أن أغلب الأبحاث التي اختصت بالسيدة الزهراء عليها السلام متشابهة في المضمون مختلفة بالعناوين، وهذا الإدعاء هو أقرب للنقد،وأبعد عن المشاجرة، إذ نلاحظ أن الكثير من الكتاب يدورون حول مواضيع أصبحت استهلاكية، مثل حياة السيدة الزهراء عليها السلام من حيث الولادة والوفاة،وكيف كانت تطبخ الطعام وتهيئ المنزل ومظلمتها ونحو ذلك، وبصورة سطحية تصل إلى حد التكرار الساذج،من دون الدخول لاستنباط المفاهيم والقيم العلمية في تلك المواقف، فالمعصوم قصدي الفعل والقول والتقرير، وكل ما يصدر عنه فهو مقصود بهذه الحيثية ولها لا لغيرها، فكل شيء عندهم ﴿كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ الحجر١٩، وهاك واحدة من تصرفاتهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، والدلالة القصدية التي فيها، ففي قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران٦١، وهي آية المباهلة المعروف سبب حدوثها وسبب نزولها، ولكن ما يعنينا هنا هو ترتيب الموكب الذي كان بحسب الأمر الإلهي، ففي التفاسير ذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله خرج لمباهلة نصارى نجران، حاملا الحسين مقتادا الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهما[1]. فنلاحظ أن مسيرة السيدة الزهراء عليها السلام، كانت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله أمام علي عليه السلام، لماذا هذا الترتيب؟ وبهذه الحيثية، وهو إلهي بدون شك، فقد طبق النبي الأمر الإلهي بحذافيره، القصدية هنا تكمن في هذا الموكب، فالذي يراد إيصاله لنا هو محورية السيدة الزهراء عليها السلام، أي أن النبوة والإمامة تدور حول السيدة الزهراء عليها السلام، فهي قطب رحى النبوة والإمامة، فالرحى تتكون من قطعتين عليا وسفلى ومحور كما هو معلوم، فمحور النبوة والإمامة هي السيدة الزهراء، ومنها نعلم مضامين الأحاديث العالية، التي خرجت من النبي صلى الله عليه وآله، بوصف ابنته الزهراء عليها السلام، كحديث، فاطمة أم أبيها، وفاطمة بضعة مني، ونحوهما من روايات عالية المضامين.

وهنا في هذا البحث المختصر نريد أن نرى، دور السيدة الزهراء عليها السلام في قيادة الحراك السياسي، بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله، وكيف لعبت دورا مهما في فضح العديد من المؤامرات، التي تحاك ضد الإسلام، وكيف وصفت بدقة الأحداث التي جرت قبل البعثة وبعدها، وبعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله،وكيف دافعت عن حقها وحق أولادها وزوجها، وطرق العمل والحراك الذي قامت به عليها السلام.

لذا جاء بحثنا هذا بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة مع قائمة بأهم المصادر والمراجع العلمية التي اعتمدت فيه.

المبحث الأول

آليات إدارة السيدة الزهراء عليها السلام للأزمة السياسية بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، واجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ولحاق المهاجرين بهم، والنبي بعد لم يدفن، تم اختيار أبي بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وفق آلية شرحها المؤرخون[٢]. ثم جرت الحوادث المعروفة، باستبعاد أهل البيت عليهم السلام عن كل المشهد، كل هذا معروف لدى الجميع، ولكن الأهم هو كيف قام أهل البيت عليهم السلام، بالحراك السياسي لإرجاع حقهم الذي سلب قسرا، وبالذات حركة السيدة الزهراء عليها السلام، وآليات تلك الحركة المباركة، والسؤال هو لما قامت السيدة الزهراء بالجهد الأكبر في هذا الحراك، والإجابة تكون على مستويات عدة:-

١- **المستوى الأول:-** إن السيدة الزهراء هي بنت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وهذا النسب يعطي زخما كبيرا في مواجهة الخصوم، سيما وأن أغلب الخصوم يعرفون مكانة الزهراء عليها السلام، وهذه المكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله،

وبالتالي فإن كلامها سيكون له تأثير أكبر من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، سيما وأن علياً عليه السلام قد وتر العرب خدمة لله ورسوله ولدين الله جلّ وعلا.

٢- **المستوى الثاني:-** إن امتداد النبي هو من السيدة الزهراء عليها السلام، متمظهراً بسبطيه الكريمين الحسن والحسين عليهما السلام، وبالتالي فحاملة الامتداد هي نفس السيدة الزهراء عليها السلام، وهذا في حد ذاته يمثل حدا فاصلا في التعامل والتعاطي مع السيدة الزهراء عليها السلام، بصورة تختلف عن أي تعامل مع غيرها.

٣- **المستوى الثالث:-** درجت العرب على تقدير المرأة وتقديسها، حتى أن الكثير من القبائل سميت بأسماء النساء مثل كندة وبجيلة ونحوهما، وهذا قبل الجاهلية، أي قبل أن تتوثن العرب وتتصنم، وبعد الإسلام زاد هذا التقدير والاحترام للمرأة، سيما بعد نزول العديد من الأحكام التي انتصرت للنساء، وعززت من مكانتهن الاجتماعية والدينية، واعتبرتهن نصف المجتمع وذوات مستقلة تماما عن الذات الذكورية. هذا الجانب ساعد السيدة الزهراء عليها السلام كثيرا في حركتها.

وربما تظهر مستويات أخرى في مجال آخر. أما عن آليات الحراك السياسي، فلقد توجهت الزهراء عليها السلام باتجاهات عدة:

١- التحرك على نساء الأنصار والمهاجرين.

٢- التحرك على بيوت الأنصار والمهاجرين.

٣- الخطاب العام لكل المسلمين في المسجد النبوي الشريف.

٤- الخطاب عند مرضها الذي استشهدت فيه.

فهذه التحركات لم تكن لموضوعة فدك فحسب،بل كانت لإثبات حق الإمام أمير المؤمنين بالخلافة، وهو إثبات ضمني لسبطي الرحمة عليهما السلام، ولذا فأن أبا بكر حينما لم يسلمها فدك، لا تشكيكا في صدقيتها بذاته هو - أي أبا بكر، وهو يخاطبها قائلاً، (صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة - الخ)[٣]. وكما قد يفهم، وإنما عدم إثبات لهذه الصدقية للآخرين، فتسليمه فدك بناء على مقولة السيدة الزهراء عليها السلام، يعني مطالبتها بعد مدة بالخلافة، وبناء على نفس المقولة، وهو ما يعرف الآن في عالم السياسية بمبدأ أخذ المتاح ثم المطالبة بالمزيد. لذا فإن عملية الحراك أو الحراك الذي قامت به السيدة الزهراء عليها السلام، ليس لإثبات حق محدد، بل لأخذ جملة الحقوق التي تواطأ الناس على أخذها منهم. ففي خطبتها في مسجد النبي قالت بالنص (أيها المسلمون أأغلب على إرثيه)[٤]. وجاءت كلمة الإرث مكسورة بقصدية واضحة، أي كل الميراث لا جزء منه،لأنها بعد ذلك فصلت كلامها وفي نفس الخطبة إذ قالت (يا ابن أبي قحافة - تريد أبا بكر - أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي) وقالت (وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بأية من القرآن أخرج أبي منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة) ثم أدخلت أمير المؤمنين علي عليه السلام، في السياق لإثبات حقه قائلة (أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي)[٥].

فنلاحظ أن نوعية الخطاب الذي توجهت به السيدة الزهراء عليها السلام، هو خطاب نوعي لا شخصي، لأن هدف أهل البيت عليهم السلام هو نفس هدف المشرع، والمشرع يستهدف النوع دون الشخص كما هو معلوم، لذا فأن الاستهداف كان ضمن إطار المشرع، لا تغريدا خارج السرب كما فعله ويفعله الآخرون.

وعليه يمكن الجزم بأن الخطة التي رسمتها السيدة الزهراء عليها السلام، ضمن

الإطار الاستراتيجي للحراك أتت أكلها وفق الآتي:-

١- إثبات خطأ أطروحة المهاجرين والأنصار في فهم معنى الإمامة والتولية،وهو ما سوف نناقشه في المبحث الثاني.

٢- إثبات أحقية أهل البيت عليهم السلام في كل إرث رسول الله صلى الله عليه وآله، وإبطال الأحدوثة الجاهلية بعدم توريث النساء، بموجب النصوص القرآنية الشريفة، ووقف المد الجاهلي من العودة إلى الساحة الإسلامية من جديد.

٣- التأسيس لخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام والتي حدثت بعد ربع قرن من الحادثة، هذا التأسيس جاء وفق آلية وضعتها السيدة الزهراء عليها السلام، هي إلزام الناس بالتفريق بين قاعدة اجتماع النبوة والإمامة في بيت واحد، والتي رفضها الناس آنذاك، بناء على حسد أو سوء فهم لمعنى الإمامة، وكونها شجرة باسقة من فروعها الخلافة الزمنية، أو لأسباب أخرى غير ما ذكر، وكانت الأساس في حكم الثلاثة الأوائل، إلى مفهوم جديد أن الخلافة ليست إرث بالمعنى السائد، وإنما تنصيب حسب الأولويات العلمية والفكرية والنفسية للمتولي، وهذا ما قالته عليها السلام في نصها (أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي)؟ وهذا التنصيب هو إلهي وليس بشري، فهم لا يخرجون عن أمر الله تعالى:- ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ النجم.

٤- الإنباء بأن المطلع هو الله وأن الخصم رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الدين سوف يعود إلى نصابه بعد أن عملت معاول الهدم فيه، وهذا في نصها عليها السلام

(وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون)[٦]. فهذا الانتظار هو ما أصاب الناس من خذلان بعد تولي الثلاثة الأوائل ومن ثم معاوية ويزيد، والختام المسك بتصحيح المسيرة الإلهية عن الخط الذي سار به الناس، بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، يوم عاشوراء، وفي هذا النص منها عليه السلام جلاء لما تقدم (معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية عن الفعل الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها،كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، ولتجدن والله محملاً ثقيلاً وغتة وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه من البأساء والضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون)[٧].

المبحث الثاني

خطاب السيدة الزهراء عليها السلام في حراكها السياسي

المفردات - الأهداف - الغايات

ربما يصاب البعض بالدهشة من هذا العنوان، وربما يقع موضع الاستهزاء من جماعة آخرين، فأي فكر سياسي وأي خطاب كان قبل خمسة عشر قرنا،والعلوم السياسية لم تختمر إلا بعد هذا الزمان بقرون؟ وفي معرض الإجابة نقول وبمستويات أيضا:-

المستوى الأول:- إن موضوعة النظريات السياسية غير خافية على أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن المهتمين بهذا الشأن.فالعرب لم تكن معزولة عن مواطن الحضارة آنذاك، بل كان الاحتكاك يتم سنويا،كما نص عليه القرآن الكريم، بقوله تعالى:- ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾قريش٢. فالنبي الأعظم سافر

لسنوات طويلة،تارة بمعية عمه وكافله أبي طالب عليه السلام، وأخرى تاجراً بمفرده، فالاحتكاك والمشاهدة قضية طبيعية للغاية، ومعلوم أن الاحتكاك ينقل معلومات عديدة،فمن أين جاءت العرب بأصنامها؟ لولا احتكاكها بمشركي الشام واليمن(٨).

المستوى الثاني:- إن أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن ما حازوه من رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال رحلاته،هم معلمون من الله تعالى بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله لهم، فإذا كان آدم عليه السلام، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة٣١. فأولى بسيد ولد آدم عليه السلام أن يعلم أكثر،باعتباره وارثاً للجميع، وبحسب تعبير الإمام عليه السلام. (السلام عليك يا وارث محمد رسول الله)(٩). فمحمد ورث الجميع بنفس نص المعصوم عليه السلام، وهو بالتالي ورثها لأهل بيته عليهم السلام. وقد شهد لهم الأعداء قبل الأصدقاء "والفضل ما شهدت به الأعداء" بالعلم والحكمة التي هي مجامع كل العلوم كما لا يخفى،فقد خاطب أبو بكر السيدة الزهراء عليها السلام بهذه العبارة بعد خطبتها (صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة - الخ)(١٠).

المستوى الثالث:- أن العلوم مؤسسة قبل الحداثة بقرون كما هو معلوم، فعلم السياسة أسس على يد اليونان،الذين ورثوه من البابليين كما ورثوا علوما أخرى(١١). وقد استقر الكثير من العلوم لدى العرب والمسلمين، كما أسسوا علوما من أشهرها علم الكلام والفقه والرجال ونحو ذلك، فللعلوم سلم طبيعي يتطور مع تطور الإنسان، ومع تزايد الحاجة الطبيعية لها. فالادعاء بعدم وجود تنظير أو فكر سياسي، هو مجانبة للصواب فأين نذهب بكتب أفلاطون، أو أرسطو أو المقريزي أو غيرهم، نعم المصطلحات تتغير ولكن

الأساس واحد كما هو معلوم، كذلك تتزايد الفروع بحسب الحاجة فتنشأ وتشتق علوم جديدة، من أسس متوفرة ابتداء.

وعوداً على بدء، نقول أن الخطاب الذي استعملته السيدة الزهراء عليها السلام، كان له مفردات وأهداف وغاية تصل إليها، وقد تحدثنا عن الآليات،فنتحدث هنا عن المفردات والأهداف والغايات، التي تريد السيدة الزهراء عليها السلام، الوصول إليها من خلال خطابها.:-

١- **المفردات:-** من المعلوم أن اللغة هي وعاء الفكر، وعليه فإيصال أي معلومة يتم من خلال اللغة ابتداء، فاختيار المفردات أمر ضروري لإيصال المطلوب، ونعلم جزما بأن خطاب المعصوم هو خطاب إلهي، والنتيجة أن خطابه أبعد ما يكون عن الاعتباطية، ويصب في صميم القصدية تماما. لذا فأن المعصوم يتعامل مع المفردات بقصدية بعيدا عن الكناية والمجاز والمرادفات، الذي اشتبه الكثير من المفسرين أن كلامهم وكلام الباري،فيه الكثير منها، بل هو في الواقع خلو منها تماما،فكل مفردة لها معناها الخاص بها، والذي يختلف عما يشتبه أنه مرادف لها أو على نحو الكناية والمجاز(١٢).

وعليه فكلام المعصوم فيه قصدية،وهو يختار المفردات وفق الفكرة التي يريد إيصالها، وهو سياق عام في كل حديث صدر عنهم، بغض النظر عن نوعية وماهية هذا الحديث، وهنا سوف نشير إلى بعض المفردات التي تحدثت بها السيدة الزهراء عليها السلام. مع بيان القصد منها بحسب سياق اللغة، وتفاصيل الخطاب الذي وجهته.

- قولها عليها السلام (هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر)(١٣). قالوا في تفسير كلامها عليها السلام - الكلم- الجرح(١٤).

وسار عليها كل المفسرين، بينما المقصود بالكلم هو التجريح على وزن تفعيل[١٥]. قال الراغب (والكلم الأصيل كأرغب الكلم، الكلم الأول جمع كلمة والثاني جراحات، والارغب الأوسع - ثم قال- وقال أخر وجرح اللسان كجرح اليد)[١٦]. فالاعتباط يقول دائما عن القصدي وقال الآخر، إذا لم يوافق مذهبه الفكري أو الكلامي.ولو كانت السيدة الزهراء عليها السلام أرادت معنىً واحداً للكلم والجرح،لقلنا أن هذه الخطبة منحولة إليها، ومسجوعة عن غيرها، فكيف تأتي بمفردات مترادفة لإيصال معنى واحد، وهي بنت سيد الناس، وزوجة سيد البلغاء والمتكلمين، ولكنها بلاغة الجرجاني لا غير. فترادف الكلام ينافي مقدمات الحكمة التي يدركها أبسط طلبة العلوم، فكيف بالمعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؟ فتأمل.

وعلى أية حال فإن قصد السيدة الزهراء عليها السلام، أنكم جرحتم أبي وطعنتم به وبعقله وبناموسه الذي جاء به من عند ربه، طعنا واسعا حتى نزل به القرآن محذرا ومنذرا، بقوله تعالى:- ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الحجر٦، وكذلك:- ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذاريات٣٩. وكذلك قوله تعالى مجده:- ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الطور٢٩. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة١٣.

ثم قمتم بقتاله وتعريض حياته للخطر عشرات المرات، وجرحتموه وآذيتموه في بدنه أيضا. ثم دسستم له السم كإنهاء لمؤامرتكم عليه وعلى الدين. ولم تصبروا حتى يدفن بل اجتمعتم لأجل محو ما جاء به أبي محمد صلى الله عليه وآله (فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، قد

خلفتموها وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون، بئس للظالمين بدلا، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ثم لم تلبثوا إلا ريث، أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي)[١٧]. وأفترض أن المراد اتضح، فلا كلم مثل كلم النفس، ولا جرح مثل جرح رسول الله بنفسه وولده وبنته من بعده.

٢- **الأهداف:**- من الممكن افتراض مجموعة من الأهداف، التي أرادت الزهراء عليها السلام تحقيقها.من خلال حركتها الجهادية بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ونحن ذكرنا بعضها سابقا ونذكر بعضها الآن:-

أ- فضح التآمر على الدين الإسلامي الحنيف، من قبل من تصدى لإدارة شؤون الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله كما في قولها عليها السلام (وإطفاء نور الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي)[١٨].

ب- بيان أن المتصدي لا أهلية له، وفاقد الشيء لا يعطيه، وأن الطريق الذي تسيرون فيه، هو طريق خاطئ، فمن صفة المتصدي أن يكون جامعا للحكمة، التي هي خلاصة كل العلوم، وأن يكون عالما بالقرآن والسنة، كما في قولها عليها السلام (أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي)[١٩].

ج- التأسيس لدور المرأة القائدة في المجتمع، وما هي الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها، وكيف تستطيع القيادة بدون مزاحمة الرجال، أو مزاحمة الآخرين، أي أن تأخذ دورها لا دور الرجل، كما هو شائع الآن ويراد التأسيس له، فالمرأة القائدة تأخذ دورها لا دور الرجل في المجتمع، وما الأطروحات الموجودة الآن عن المساواة، إلا كلام سمج يخلو من الفهم

الإلهي لهذا الدور العظيم، فما بنته أقلام الناس شيء، وما يريده الله شيء آخر، لو كنا نفقه ذلك. وقد تمظهر هذا التأسيس في قولها عليها السلام (أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، - تعني بعض المهاجرين والأنصار- لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الجد)[٢٠].

د- بيان سبب سلبهم حق أمير المؤمنين عليه السلام. في القيادة بعد الرسول صلى الله عليه وآله من خلال قولها عليها السلام: (وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله)، ثم بينت أن الناس إنما طلبوا الاستئثار لأن ولاية علي عليه السلام هي عبارة عن (وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها وحملهم عليها، ولسار بهم سيرا سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يكل سائره، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا، صافيا رويا، تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه، ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الغني بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل)[٢١]. ولكن الناس طلبوا غير هذا.

٣- الغايات:- وهنا لكل حكيم غاية، فلا يمكن أن تكون حركة الزهراء عليها السلام بدون غايات، تريد الوصول إليها، وإلا لاعتبر كل جهدها، غير ذي جدة وهو لا يصدر عن أبسط الناس، فكيف بمجمع النبوة والإمامة.

من الممكن حصر الأهداف فيما يلي:-

أ - تأسيس منهج في العمل السياسي للنساء:- كل ما كان قبل الإسلام بكفة، وما جاء به الإسلام في كفة ثانية، فالمؤسسون للمناهج العلمية

والحكمية السياسية قبل الإسلام، بنوا مناهجهم على أسس فيها بعض الالتباس،كما نلاحظ ذلك وعلى سبيل المثال في موضوعة العرق، أي سيادة عرق واحد على سائر الأعراق، كما في أطروحة الحكيم اليوناني أفلاطون ومن بعده تلميذه المعلم الأول أرسطو(٢٢). والتي لن تعالج بل تركت على وضعها، ورسخت فيما بعد من قبل الأوروبيين في نظريات الحداثة وما بعد الحداثة، لتظهر على شكل نظريات في التمركز العرقي والديني(٢٣). وكذلك نرى كيفية تعاملهم مع المرأة وكيفية اعتبارها، بمنزلة سلع البيت، فلا دور لها البتة غير البيت والخدمة، فالانكليز لم يسمحوا للنساء بالمشاركة في العملية السياسية، إلا في مطلع الستينات من القرن العشرين، بينما رسم الإسلام منهجا آخر، في التعاطي مع السياسة كعلم وكحكمة، وقد أسس الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام لهذا المنهج من خلال تعاطيهم المستمر، مع الأحداث وانغماسهم في تطوراتها، على الرغم من الاستبعاد القسري المتعمد لهم، ولكن تكليفهم كمؤسسين يملي عليهم هذا العمل، فما حركة السيدة الزهراء عليها السلام، إلا ترسيخا لهذا الدور القيادي للمرأة المؤمنة الصالحة، فهي لن تكون حبيسة بيتها، ولم تكن خادمة في بيتها، بل كانت أماً وزوجة وعاملة ومبلغة ومقاتلة متى دعت الضرورة لذلك، فالناس أرادوا إرجاع الجاهلية، التي تمتهن المرأة وتحتقرها وتحرمها من حقها الطبيعي في المشاركة، كما فعل الانكليز بنسائهم قبل عقود، فالسيدة الزهراء بحركتها هذه أسست لمفهوم جديد في الحراك السياسي، تجسد بصورة كبيرة فيما بعد، والذي جسده هي ابنتها السيدة زينب عليها السلام في الحوادث والمصائب التي جرت ووقعت قبل وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، بل أعطت درسا لنساء المهاجرين والأنصار كما مر بنا قبل وريقات.

ب - التأسيس لنهضة الإمام الحسين عليه السلام:- ربما تستغرب هذه الغاية، فما علاقة نهضة الإمام الحسين عليه السلام، بحركة السيدة الزهراء عليها السلام قبل نصف قرن؟ والجواب واضح من خلال نفس الحراك الذي قامت به السيدة الزهراء عليها السلام، فتثبيت سلب الحق عن أهل البيت عليهم السلام، والتحرك للمطالبة به على مستويات مختلفة، والتأكيد أيضا على أن هذا الحق هو بناء على أمر إلهي، أعطى انطباعاً ولو في العقل الباطن للمستهدف، بأن هذا الحق إن لم يسترد فسوف تكون العواقب وخيمة في المستقبل، وبالنتيجة سوف يكون التحرك على المستوى النوعي مطلوباً، لتصحيح المسيرة وإرجاع الحق إلى نصابه ولو بعد حين، وهذا التصحيح لا يمكن أن يتم إلا من خلال تضحية، وهذه التضحية لابد أن تكون مدوية وعلى مستوى يمس صاحب الرسالة ذاته، فكل العملية التي ابتدأت من حراك السيدة الزهراء عليها السلام، وصولا إلى هدنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، وصولا إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام، إنما أسست بحراك السيدة الزهراء عليها السلام، لا يفهم من كلامنا هذا أن الحراك كان سياسيا بحتا، بل هو عقائدي أخذ الصبغة السياسية، بالمعنى الذي قدمناه في هذا البحث، وبهذا تكون الغاية القصوى من هذا الحراك قد أثمرت وأتت أكلها.

المبحث الثالث

تداعيات حراك السيدة الزهراء عليها السلام على واقع الأمة الإسلامية

نهض مجموعة من المهاجرين والأنصار، وشاركوا بهذا الحراك المهم للسيدة فاطمة عليها السلام، وهم بحسب المؤرخين لم يتجاوزوا عدد أصابع اليد الواحدة، هذه المشاركة جاءت بناءً على وعي تام بالقضية الرسالية، وبمهمة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ولكن بعد الحركة توجه الناس وصَحَوا من غفلتهم، وتبين لهم

أن كارثة كبيرة وقعت، باختيارهم أبا بكر خليفة للنبي صلى الله عليه وآله، فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، شخصية فذة ونادرة للغاية، بل أندر الموجودين في السماوات والأرضيين، بينما من استلم الأمر شخص بسيط للغاية، ولا يمكن لهكذا شخصية أن تقود أمة بدأت للتو حضارتها، فالعصمة والعلم وأخبار السماء كلها فقدت بفقد النبي صلى الله عليه وآله، والمعَلم الوحيد بكل ما مضى هو علي عليه السلام، وهو ما أشارت إليه السيدة الزهراء عليها السلام في خطابها إلى المهاجرين والأنصار كما مر بيانه، صحوة بعض أجزاء الأمة فيما بعد، ولد حالة من عدم الرضا عن الذات وعن الآخر، وهو الذي ولد فيما بعد الانتفاضة الأولى في الإسلام، على مستوى الأمة ضد الحاكم، والتي انتهت بمقتل عثمان بن عفان، وتولية علي عليه السلام بإجماع الأمة، وأول فعل قام به أمير المؤمنين عليه السلام، هو إرجاع الحق إلى نصابه، وهو ما بينته السيدة فاطمة عليها السلام، لنساء المهاجرين والأنصار، عند عيادتهن لها في مرض شهادتها عليها السلام، فما كان إلا الدخول في حروب أهلية، أججها المستفيدون من الأوضاع المنحرفة السابقة، والتي انتهت بشهادة علي عليه السلام، كما أنبأه الرسول العظيم صلى الله عليه وآله، ومن ثم هدنة الإمام الحسن عليه السلام، مع معاوية بن أبي سفيان، ومن ثم تولي يزيد ونهضة الإمام الحسين عليه السلام.

إن استشراف السيدة الزهراء عليها السلام للمستقبل، جاء مطابقا لكل توقعاتها ولكل قراءاتها للموقف، وما سوف ينجم عنه، فمن المنطقي أن تصاب الأمة بالخذلان، وتتطابق عليها ثلة غلمان،إذا سلكت مسلك الهاوية، وابتعدت عن خط الله جل وعلا، المشكلة في المستخلفين بصورة عامة، إلا من رحم ربي، هو قياس الذات الفقيرة المحتاجة، على الذات الغنية المستغنية، متناسين قوله تعالى:- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء٢٢، أي جعلوا أنفسهم قياما على الناس في التشريع والتنفيذ،بعيدا عن أمر الله جل وعلا، وكأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى:- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾

الدخان١٧. فالتشريعات التي كتبت بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله، جاءت كلها مطابقة للأفكار الجاهلية، مثال التمييز بين العبد والسيد وبين الرجل والمرأة، فإذا كان من ولي أمر المسلمين قد وأد ابنته في الجاهلية، وحارب عبده وآذاه، فكيف نتوقع منه أن يغير من تلك السمات بعد الإسلام، لمجرد دخوله الإسلام، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات١٤. فالتفريق في العطاء ومحاربة "الموالي"وسلب الناس حقوقها،كانت هي السمة البارزة في الحقبة المظلمة، ما بين استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وخلافة أمير المؤمنين عليه السلام، فالناس تذكرت أيام رسول الله بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

كل هذه التداعيات كانت منظورة للسيدة الزهراء عليها السلام حضوريا، وقد نبهت عليها وأدت عن والدها، فجزى الله رسول الله وعترته الطاهرة عنا وعن الأمة والعالمين خير جزاء المحسنين. وعلينا أن نعي حقيقة مهمة، أن أجر رسول الله صلى الله عليه وآله، هو مودة أهل بيته عليهم السلام، وما خدمتنا لهم وتمسكنا بهم، إلا تسديد جزء من أجر الرسالة،فهل أعطينا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه؟

الخاتمة :ـ

وفي الختام نصل إلى ثمار مهمة للغاية، بحسب نظري القاصر، نوردها في نقاط اختصاراً.

١- أسست الزهراء لمبادئ الحراك السياسي، وفق الخط الإلهي لا البشري.

٢- أسست لمبدأ عمل المرأة الرسالي دون أن تأخذ موقع الرجل.

٣- أسست لأطروحة الخلافة وتمييزها عن الإمامة، باعتبار الثانية أعم من الأولى، وأن الإمامة تنصيب وليست توريثاً.

٤- أسست لنهضة ابنها الإمام الحسين عليه السلام، من خلال كشف زيف الإدعاء بحماية الدين، من قبل المتصدين.

٥- أبطلت دعوى الناس، بمنع اجتماع النبوة والإمامة في بيت واحد.

التوصيات :ـ

١- إعادة قراءة كل تراث أهل البيت عليهم السلام وفق المنهج القصدي.

٢- إعادة تأسيس المنهج المعرفي وفق رؤية أهل البيت عليهم السلام، التي هي إرادة الباري جلّ وعلا.

٣- الخروج من عملية الدفاع إلى عملية التأسيس والتأصيل، وفق المنهج القصدي لكل تراث أهل البيت عليهم السلام.

٤- توظيف الناتج في خدمة المجتمع وعلى كافة المستويات واعتباره أمراً وتكليفا شرعيا وإنسانيا ووطنيا، حتى إن وصل الأمر إلى تشريع قوانين بذلك.

٥- الالتزام بما ورد عنهم عليهم السلام، وترك ما ورد عن غيرهم وعلى كافة المستويات.

هوامش البحث

(١) ينظر للتفاصيل – الطبرسي – مجمع البيان في تفسير القرآن – الشيخ الطوسي- التبيان في تفسير القرآن- العلامة الطباطبائي- الميزان في تفسير القرآن- بخصوص تفسير هذه الآية.

(٢) ينظر للتفاصيل- الطبري- تاريخ الطبري- أبن الأثير- الكامل في التاريخ- ابن كثير- البداية والنهاية- في حوادث عام ١١ للهجرة.

(٣) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤- ج١-ص٢٧٧.

(٤) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤ -ج١-ص٢٦٧.

(٥) نفس المصدر السابق- ص٢٦٧-٢٦٨.

(٦) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤-ج١-ص٢٧٤.

(٧) نفس المصدر السابق - ص٢٧٨.

(٨) ينظر - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٩) القمي- ابن قولويه - الكامل في الزيارات- ط- قم - إيران-٢٠٠٤-ص٢٣٠- زيارة وارث.

(١٠) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤ -ج١-ص٢٧٧.

(١١) كرم - يوسف - تاريخ الفلسفة اليونانية - ط- مصر - القاهرة - ١٩٣٥م - ص٢٣.

(١٢) هذا البحث لا يسع الكلام عن هذه الموضوعات لذا ينظر للمزيد ومفصلا- السيد أبو القاسم الخوئي- البيان في تفسير القرآن- السيد عالم سبيط النيلي - كتبه - اللغة الموحدة- الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية- النظام القرآني.

(١٣) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤ -ج١-ص٢٦٥.

(١٤) ألمجلسي - محمد باقر- بحار الأنوار- بيروت- لبنان-سنة٢٠٠٧-دار الأعلمي-ج٢٨-ص٢٣٣.- ألطريحي - فخر الدين- مجمع البحرين- طهران - إيران-٢٠٠١-ج٥.مادة كلم.

(١٥) ألطريحي - فخر الدين- مجمع البحرين- طهران - إيران-٢٠٠١-ج٥.مادة كلم.-ص١٥٧. والعجيب أنه لم يلتفت لهذا الفرق بين الجرح والتجريح.- الرازي-محمد بن أبي بكر عبد القادر- مختار الصحاح-الكويت-دار الرسالة-سنة١٩٨٣- مادة كلم- ص٥٧٧- .

(١٦) الأصفهاني - الراغب -مفردات ألفاظ القرآن- ط-قم -إيران-سنة٢٠٠٥م-ص٧٢٢-مادة كلم.

(١٧) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤- ج١-ص٢٦٥.من خطبتها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله.

(١٨) الطبرسي - أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب - الاحتجاج- ط - إيران - طهران- سنة ٢٠٠٤- ج١- ص٢٦٥. من خطبتها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله.

(١٩) نفس المصدر السابق - ص٢٦٧- ٢٦٨.

(٢٠) نفس المصدر السابق- من خطبة لها في نساء المهاجرين والأنصار- ص٢٨٦.

(٢١) نفس المصدر السابق- من خطبة لها في نساء المهاجرين والأنصار- ص٢٨٨- ولاحظ عبارة (لا يكلم خشاشه) أي لا يكلم مشاعر بعيره الذي يركبه فضلا عن الآخرين.

(٢٢) ينظر للمزيد – أفلاطون – الجمهورية- ت – حنا خباز- بيروت-لبنان- دار العلم للملايين- سنة١٩٧٨- طاليس - أرسطو- السياسة- ت- احمد لطفي السيد- السعودية – الرياض- ١٩٧٦.

(٢٣) ينظر للمزيد- كرم – يوسف – تاريخ الفلسفة الحديثة- مصر- القاهرة-١٩٥٦.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أبن الأثير الجرزي - الكامل في التاريخ - طبعة بيروت - لبنان- ٢٠٠٥ .

٢- أبن قولويه القمي- الكامل في الزيارات- طبعة قم - إيران ٢٠٠٤ .

٣- أبو الفداء أبن كثير الدمشقي - البداية والنهاية - طبعة القاهرة - مصر- ٢٠١٠ .

٤- أبو القاسم الخوئي- البيان في تفسير القرآن- طبعة العراق- النجف الأشرف- ١٩٩٠ .

٥- أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة احمد لطفي السيد- طبعة السعودية-الرياض-,١٩٧٦

٦- أفلاطون- الجمهورية- ترجمة حنا خباز- طبعة بيروت-لبنان- ١٩٧٨ .

٧- الراغب الأصفهاني- مفردات ألفاظ القرآن الكريم- طبعة قم - إيران- ٢٠٠٥ .

٨- الطبرسي أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب- الاحتجاج- طبعة طهران-إيران-٢٠٠٤ .

٩- الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن- مجمع البيان لعلوم القرآن- طبعة طهران- إيران-١٩٩٧.

١٠-الشيخ الطوسي محمد بن الحسن- التبيان في تفسير القرآن- طبعة قم - إيران- ١٩٨٦ .

١١- عالم سبيط النيلي- الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية- طبعة بيروت- لبنان-٢٠٠٥ .

١٢- عالم سبيط النيلي- اللغة الموحدة- طبعة بيروت- لبنان-,٢٠٠٥

١٣- عالم سبيط النيلي- النظام القرآني- طبعة بيروت- لبنان-٢٠٠٥ .

١٤- فخر الدين الطريحي- مجمع البحرين- طبعة طهران- إيران-٢٠٠١ .

١٥- محمد باقر المجلسي- بحار الأنوار- طبعة بيروت- لبنان- ٢٠٠٧ .

١٦- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - طبعة دولة الكويت - ١٩٨٣ .

١٧- محمد بن جرير الطبري- تاريخ الأمم والملوك - أو ما يعرف بتاريخ الطبري - طبعة بيروت - لبنان-٢٠٠٢ .

١٨- محمد حسين الطباطبائي- الميزان في تفسير القرآن- طبعة قم - إيران- ٢٠٠٤ .

١٩- يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية- طبعة مصر - القاهرة- ,١٩٣٥

٢٠- يوسف كرم- تاريخ الفلسفة الحديثة- طبعة مصر- القاهرة- ١٩٦٥.